على القارىء أما أن يقبل بنظرته أو يرفضها على اسس حدسية عفوية صرفة . ولا شك ان ذلك لن يكون سهلا بالنسبة للقارىء غير المطلع . فالمؤلف يربط الصهيونية بمعاداة الاشتراكية وبخدمة الرأسمالية . ولكن ثمة في الاسواق كتب عديدة تربط الصهيونية بالشيوعية وتتكلم عن «الدور التخريبي» الذي تلعبه الصهيونية بمؤازرة الشيوعية ، وتمتنع أيضا من ايراد المصادر والوقائع المعنية وتعتذر عن ذلك بأقوال ترسلها عن « سرية العلاقات بين الصهيونية والشيوعية » .

أما المقالات الاخرى في الكتاب فليس فيها نظرات جديدة . فهي تتكلم عن وجهات النظر لدى قادة اسرائيل وزعماء الصهيونية وتوجهات الرأي العام الاسرائيلي . ووجهات النظر والتوجهات هذه ليس من شأنها ان تحظى باهتمام القارىء خاصة وان النظرة الجديدة في المقالة الاولى تنفي اي دور لهذه الوجهات والتوجهات حين تؤكد على ان **القول الفصل** يعود الى الاتحاد الاسرائيلي العالمي. ولا شك ان القارىء المطلع نسبيا سيوافق المؤلف غنيم في نظرته القائلة بأن البرجوازية اليهودية هي التي بعثت الصهيونية لضبط يهود العالم وحصرهم ضمن مصالحها التي انعكست وتنعكس في معاداتها للاشتراكية ومسارها في سياق الامتداد الامبريالي . الا انه لا يسعه ان يوافق المؤلف « تقديره » على ان هذه البورجوازية تتجسد في منظمة واحدة هي الاتحاد الاسرائيلي العالمي .

لقد تكلم المؤلف في المقدمة عن « الاضطراب والتناقض » الذي يسود المفاهيم السائدة حول الصهيونية . لكن دراسته انما أسهمت في هذا الاضطراب والتناقض . وان كان هدفه من نظرته الجديدة هو توجيه الانتباه الى احدى المنظمات البورجوازية اليهودية (الاتحاد الاسرائيلي العالمي) التي كان لها دور حاسم في بعث الصهيونية منذ منتصف القرن الماضي ، لكان عليه ان يقوم بذلك بطريقة اكثر جدية . ولا شك ان دور هذه المنظمة كان حاسما في فترة ما قبل قيام المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٨٩٧ ، حتى وخلال فترة ما قبل نهاية الحرب العالمية الاولى قبل تبني بريطانية (والدول الغربية الكبرى الاخرى باستثناء الاتحاد السوفياتي) للصهيونية . والدلالات الوثائقية حول دور هذه المنظمة متوفرة الى حد بعيد وهي تحتاج لمن يدرسها . وهذا ما كان ينبغي على المؤلف غنيم أن يقوم به قبل ارسال استنتاجاته التي يبدو انه كان يعي سطحيتها حين قال في المقدمة انها « لا تعدو ان تكون ... ارضية لبحث اكثر عمقا ينبغي ان يتجه اليه الباحثون العرب » . ولو قام المؤلف غنيم بالعمل الذي يود أن يلقيه على عاتق غيره ، ودرس تاريخ الاتحاد الاسرائيلي العالمي ، لوجد ان هذا الجهاز ليس سوى واحد من الاجهزة « اليهودية » (بما فيها المنظمات الصهيونية ودولة اسرائيل) التي تسيطر عليها البورجوازية اليهودية وتعمل من خلالها لفرض ايديولوجيتها السائدة على يهود العالم . وهذه السيطرة لا تأتي من خلال تحركات خلفية فحسب ، بل تأتي بمقدار اعتماد الصهيونية واسرائيل على الموارد المالية التي تأتيها من البورجوازية اليهودية ومن حليفاتها الطبقيات من بورجوازيات الدول الامبريالية . ولا شك ان البورجوازية اليهودية ، مثلها مثل حليفاتها ، لا تعمل دائما بشكل مباشر ولا تترك سجلا وثائقيا كاملا لنشاطاتها. لكن جوهر الدراسة والبحث يقع في تقصي الحقائق المباشرة وغير المباشرة وعرضها وتحليلها واستيفاء النتائج منها وليس التهرب منها بالاشارة الى « السرية » واعادتها الى جهاز خفي ضبابي بعيد يعجز الباحث عن التوصل الى الحقائق حوله .

ختاما ، علينا ان نقول ان قيمة كتاب المؤلف غنيم تكمن في كونه **محاولة** لتوجيه الانتباه الى الدور الذي تلعبه الصهيونية (واسرائيل التي هي جزء — وجزء هام منها) في خدمة الرأسمالية الاحتكارية (الامبريالية) بالنسبة لليهود في الغرب . فهو يؤكد على ان اهداف الصهيونية لا تقف عند خلق دولة اسرائيل ولا عند بقائها ولا حتى عند توسعها ، كما انها لا تقف عند الدور الذي تلعبه اسرائيل في خدمة الامبريالية في الشرق الاوسط وفي بعض بلدان آسيه وافريقيه ، بل تتعدى ذلك الى الدور الذي لعبته وتلعبه الصهيونية (وهي الاصل) في بلدان منشأها حيث تعمل على ابعاد جموع اليهود عن الاشتراكية وابقائهم في الحظيرة التي يسيطر عليها الرأسماليون اليهود . وربما هذا هو الموضوع الذي يدعو المؤلف في المقدمة الباحثين والمفكرين التقدميين، وفي مقدمتهم الباحثون والمفكرون العرب، الى التوجه اليه .

أ . ن . سعد